



+ آباؤنا القديسون

البار مرتينانوس

تُعيد الكنيسة المقدسة في الثالث عشر من شباط لتذكار القديس البار مرتينانوس الفلستيني، الذي كان نموذجاً للتوبة. وتُعلمنا سيرة حياته أن الشيطان لا يرتاح حتى يسقط الإنسان في الخطيئة، وكلما تقدم الإنسان في الحياة الروحية، ازدادت تجارب الشرير شراسة، وبنعمة الرب وحدها يستطيع الإنسان التوبة والعودة إلى الحضن الإلهي.

ولد مرتينانوس في منتصف القرن الرابع في قيصرية فلسطين. لما بلغ الثامنة عشرة اختار الحياة النسكية وانتقل للعيش في إحدى الجبال القريبة من قيصرية، وتلمذ على أيدي نساك هذا الجبل. ثابر على الصلوات والأصوام والأسهار ودراسة الكتاب المقدس وعمل الفضائل، حتى انه صار نموذجاً لكافة الرهبان في حياة القداسة. أنعم الله عليه بموهبة طرد الأبالسة وصنع العجايب، فتقاطر إليه الناس من مختلف الأماكن لكي يشفوا من أمراضهم.

لم يرق للشيطان أن يكون مرتينانوس عبداً للرب. فبعد خمسة وعشرين عاماً من حياة القداسة حاك الشيطان مكيدة ضد مرتينانوس لكي يوقعه في الخطيئة. وتفصيل ذلك أن امرأة سلقطة، اسمها زويي، من قيصرية، سمعت بسيرة مرتينانوس من بعض الشبان الذين تحدوها بأنهما لا تستطيع الإيقاع به، فلبست ثياباً رثة وانطلقت إلى الجبل حيث منسك مرتينانوس. وقد هطل المطر في الطريق وتبللت ثيابها فبدت بحال يرثى لها. أخذت تفرع على باب مرتينانوس وتبكي وتنتحب متظاهرة بالخوف من الوحوش لأن المساء قد حلّ. رق قلب القديس وأدخلها وأعطاهها طعاماً من الخبز والتمر، ثم مضى هو إلى غرفته الداخلية حيث أمضى الليل في الصلاة.

بدلت زويي خلال الليل ثيابها الرثة بملابس مثيرة كانت جلبتها معها، ولما كان الصباح خرج مرتينانوس من غرفته الداخلية إلى مكان وجود المرأة. أغوته المرأة فضعفت قواه الروحية. لكنه، وقبل الارتداء في أحضانها، أراد التأكد من عدم وجود أحد في الخارج. ولما همّ بالخروج من الباب رأى رؤيا تصوّر الهاوية التي هو مزعم أن يلقي بنفسه فيها، فانصدم وارتد تائباً. جمع حطباً وأشعله، ولما صار جمرأ أخذ يسير على الجمر وهو يقول: أنظر قبل أن تباشر النجاسة إن كنت قادراً على احتمال نار جهنم عقاباً. احترقت رجلاه فبكى بكاءً مرأً، بسبب أوجاعه، على خطاياها.

لما شاهدت زويي هذا المشهد انطرحت عند قدمي مرتينانوس وذرفت دموع التوبة طالبة منه الغفران. ولم تترك المنسك إلا بعد أن أرشدها إلى طريق الخلاص، وما يجب أن تفعله لتكفر عن خطاياها. ويقال إنها ذهبت إلى دير القديسة باولا في بيت لحم حيث عاشت بالنسك لمدة إثنتي عشرة سنة لحين وفاتها، ولم تذق طعاماً خلال هذه الفترة غير الخبز والماء.



+ آباؤنا القديسون

بقي مرتينانوس طريح الفراش مدة سبعة أشهر، لا يمكنه الوقوف على رجليه المحروقتين. بعدها قرر الذهاب إلى مكان منفرد لكي لا يتعرض ثانية لما أصابه سابقاً، ولكي يكفر عن ذنوبه. قصد الشاطئ وركب إحدى السفن، فأرشدته صاحب السفينة إلى صخرة في وسط البحر استقر عليها وكان صاحب السفينة يأتيه ثلاث أو أربع مرات في السنة بالخبز اليابس والماء. بقي هناك عدة سنوات يمارس أفعال التوبة الشاقة إلى أن تحرك الشيطان من جديد ليجره، فتحطم مركب قرب الصخرة وغرق الجميع ما عدا فتاة واحدة قذفتها الريح نحو صخرة مرتينانوس. صرخت نحوه مستغيثة، أما هو فتردد في إنقاذها مخافة أن تكون تجربة جديدة من الشيطان. لكنه عاد وأخرجها من البحر. ولكي لا يجربه الشيطان سلّمها الخبز والماء الموجودين عنده، ورمى بنفسه في البحر بعد أن رسم إشارة الصليب. أنقذه الرب ووصل سالمًا إلى الشاطئ. ويُقال أن هذه الفتاة التي كانت تدعى فوتين عاشت على الصخرة طيلة حياتها. أما هو فقرر التحوال كغريب من مدينة إلى أخرى. وكان يعيش من صدقة المحسنين. وصل في تجواله إلى أثينا حيث اعتراه المرض. اهتم به أسقف المدينة إلى أن رقد بسلام حوالي العام ٤٠٠. فيشفاعته اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.